

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2024/01/10
تاريخ القبول: 2024/06/24

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

المستويات اللغوية في القراءات القرآنية

دراسة في ضوء اللهجات العربية

Linguistic levels in the Quranic readings, a study in the light of Arabic dialects

د. احمد فراكيس جامعة مصطفى اسطيمبولي - معسكر.

mhamed.frakis@univ-mascara.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إبراز تلك الخصائص اللهجية والسمات اللغوية (الصوتية، والنحوية، والصرفية، والدلالية) التي خلّدتها اللهجات العربية القديمة، وبعض الحقائق عن القراءات القرآنية من خلال نماذج ألفاظ قرآنية، والوقوف على مظاهر تلك اللهجات، ومعيار الاختلاف والتعدد في لهجات العرب. ومن أبرز نتائج هذه الدراسة: أنّ القرآن الكريم خطاب يراعي واقع التعدد؛ لذا تُعدّ طرائق النطق هذه فرصاً لمعرفة لهجات العرب التي نطق بها القرآن وسائر بها ألسنة القبائل. كما أنّ تعدد اللهجات في القرآن القرآني أكبر دليل على العلاقة الوطيدة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية التي عكست جوانب تعددها وتباين بيئاتها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ اللهجات العربية؛ الأصوات اللغوية؛ الصرف؛ النحو؛ الدلالة.

ABSTRACT

. This study aims to highlight those dialect characteristics and linguistic features (phonological, grammatical, morphological, and semantic) immortalized by ancient Arabic dialects, and some facts about Qur'anic readings through examples of Qur'anic words, and to identify the manifestations of those dialects, and the criterion of difference and pluralism in Arab dialects. One of the most prominent results of this study is that the Holy Qur'an is a discourse that takes into account the reality of diversity. Therefore, these pronunciation methods are opportunities to learn the Arab dialects that were spoken by the Qur'an and used by the tongues of the tribes. The multiplicity of dialects in the Qur'an is also the greatest evidence of the close relationship between Arabic dialects and Qur'anic readings, which reflected aspects of their multiplicity and contrasting environments.

Keywords: The Holy Quran; Arabic dialects; linguistic sounds; Exchange; grammar indication

القرآن الكريم بلاغ من الله تعالى للناس كافة، أنزل بلسان عربي مبين، هدى ورحمة وعبرة، أقبل عليه أسلافنا المؤمنون إقبال الحافظين المتفكرين، ففهموا أحكامه، وتدبروا حقائق عبارته، وقرئوا غريب كلماته، وعاشوا معه قولاً وعملاً. والقرآن الكريم يحقق النطق السليم، نحواً وصرفاً وصوتاً؛ فالسلامة الصوتية تكون بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، وأفضل وسيلة لتحقيقها هي تلقيه مرتلاً ومجوداً. كما أنه يحقق السلامة النحوية، فاللحن يغير المعنى ويفسده، ويقلبه عن المراد به إلى ضده فيجعل اللفظ يدل على معانٍ غير مقصودة. والقرآن الكريم معجز ببلاغته وبيانه، فله الأثر في تعلم البلاغة؛ وقد اقتبس منه الأدباء والشعراء، وأدخلوه في كتاباتهم وخطبهم وأشعارهم لما وجدوا فيه من بلاغة وفصاحة ما عجزوا عن الإتيان بمثله. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء: الآية 88.

مرت اللغة العربية الفصحى كباقي اللغات بمراحل وأطوار في حياتها، فهجر بعض العرب أرض الحجاز، وانتشروا في الجزيرة العربية وما حولها، أدى إلى ظهور لهجات لها تراكيبها ومحاسنها ومزاياها، فنهلت اللغة العربية الفصحى من مجموعة من اللهجات العربية، هذه اللهجات ساعدت على التشكيل النهائي لبنية اللغة العربية الفصحى، إلا أن عملية التبادل والنهل بين هذه اللغة واللهجات الأخرى ليست عملية مطلقة، فقد تحكمت في هذه العملية معايير سارت عليها، ساعدت على فهم طبيعة تلك اللغة، ودراسة مراحل نشوئها وتطورها، وبيان تأريخها. ومن هنا كان التسابق بين العلماء من القدامى والمحدثين لرصد هذه اللهجات وتصنيفها وفقاً للمستوى الذي تندرج فيه، فمنها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية. وإن دراستها تكمن في الأهمية لمعرفة خصائصها المنتمية إليها من تنوع الصفات والمخارج والظواهر التركيبية الأخرى، مثل: الهمز، والإمالة، والإدغام، وغيرها.

أما إشكالية هذه الدراسة فتقوم على مجموعة من الأسئلة، أهمها: ماهي العلاقة الرابطة بين اللهجات والقراءات القرآنية؟ وماهو تأثير اختلاف اللهجات على تعدد القراءات ؟

وتحاول هذه الدراسة إبراز تلك الخصائص اللهجية والسمات اللغوية (الصوتية، والنحوية، والصرفية، والدلالية) التي خلّدت اللهجات العربية القديمة، وبعض الحقائق عن القراءات القرآنية من خلال نماذج ألفاظ قرآنية، والوقوف على مظاهر تلك اللهجات، ومعيار الاختلاف والتعدد في لهجات العرب.

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يجمع الظواهر اللهجية من مظانها، وذلك على المستوى الصوتي، والنحوي، والصرفي، والدلالي.

2. مفهوم اللغة واللهجة والقراءات القرآنية:

1.1. اللغة :

تميزت اللغة العربية عن باقي اللغات بخصائص متفردة بها نزل القرآن الكريم المتصف بالمجاز، والإعجاز، والترادف، والإعراب إلى جانب أنها لغة غنية بألفاظها؛ مما جعلها تستوعب الألفاظ الدخيلة غير العربية، والمصطلحات العلمية المعربة كل ذلك جعل العربية في المرتبة العليا من اللغات.

أ- لغة:

عرّف ابن جني اللغة بقوله: "أما حدّها فإنّها أصوات يُعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم وهي فعلة من لغوت أي تكلمت، أصلها لغوه ككرة، وقلة، وثبه، كلها لاماتها واوات. قيل أصلها لغى أو لغوه والهاء عوض، وجمعها لغى مثل بره وبرى. واللغة من لغا فلان عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه قال ابن الأعرابي واللغة أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين واللغو النطق يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون ولغوي الطير : أصواتها والطيّر تلغي بأصواتها أن تنغم" (منظور، 1990، صفحة 201).

ب- اصطلاحاً:

تناول العلماء اللغة بتعريفات متعدّدة ومتنوّعة منها ماجاء على لسان ابن خلدون الذي عرّف اللغة بقوله بأنّها "عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة متكرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم" (خلدون، 1985، صفحة 454). وقال بعضهم أنّ اللغة "مجموعة من الأصوات، والألفاظ، والتراكيب التي تعبّر بها الأمة عن أغراضها، وتستعملها أداة للفهم، والتركيب، والتفكير، ونشر الثقافة فهي وسيلة الترابط الاجتماعي التي لا بد منها للفرد والمجتمع (الحسون و الخليفة، 1996، صفحة 17). وعُرفت أيضاً: "بأنّها نظام صوتي يمثل سيقاً اجتماعياً، وثقافياً له دلالاته، ورموزه، وهو قابل للنمو، والتطور، و يخضع في ذلك للظروف التاريخية، والحضارية التي يمرّ بها المجتمع" (الشمري و آخرون، 2005، صفحة 24). وتوصّف كذلك بأنّها: "مجموعة من اللهجات لكلّ منها خصائصها لكنّها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقّف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات" (أنيس، 1965، صفحة 16).

2.2- اللهجة (Dialect):

أ- لغة: وردت كلمة اللهجة بمعانٍ عدّة منها ما جاء في معجم تاج العروس، قوله: "واللهجة واللهجة: طرف اللسان واللهجة واللهجة: جرس الكلام والفتح أعلى. لو يُقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها" (الزبيدي، 2007، صفحة 47). أما ابن فارس (ت395هـ)، فقد عرّف اللهجة بقوله: "اللام والهاء والحيم أصلٌ صحيح يدلّ على المثابرة على الشيء وملازمته، وأصل آخر يدلّ على اختلاط في أمر ما...وقولهم

هو فصيح اللهجة. واللهجة اللسان بما ينطق من الكلام، وميّت لهجة؛ لأنّ كلاً يلهج بلغته وكلامه" (ابن فارس، 1949، صفحة 841). وتُعرف أيضاً بأنّها: "طريقة من طرق الأداء في اللغة" (أنيس و آخرون، 2004، صفحة 841). والملاحظ أنّ هذه التعاريف جاءت بعدّة معانٍ، مثل: جُرس الكلام، وطرفه، أو اللّغة، واللسان، وماجبل عليها الإنسان، وجلّها معانٍ حركيّة والحركيّة لها دلالة إيحائيّة على التأثير والتأثير تبعاً للعوامل المؤثرة فيها.

ب- اللهجة اصطلاحاً: عرفت اللهجة في الاصطلاح بعدّة تعريفات قليل، هي: " طائفة من المميّزات اللّغويّة ذات نظام صوتيّ خاصّ تنتمي إلى بيئة خاصّة ويشترك في هذه المميّزات جميع أفراد تلك البيئة، وهذه البيئة هي قسم من بيئة أعم وأشمل تضمّ لهجات عدّة، وهي متميّزة الواحدة عن الأخرى بظواهر لغويّة، ولكنّها تتألف فيما بينها بظواهر لغويّة أخرى تُيسّر اتّصال هذه أفراد البيئات بعضهم ببعض" (المطلبي، 1978، الصفحات 29-30).

وكلمة "اللّغة" في حقيقتها مجموعة من الأصوات الإنسانيّة العديدة تصدر عن جهاز خاصّ مكون من أجزاء متفاوتة ومن عدد من الأجزاء الصوتيّة، ثمّ تتألف هذه الأصوات فيما بينها ليتكوّن منها مجموعات مختلفة، كلّ واحدة منها تؤدي معنى من المعاني الكثيرة" (عون، 1952، صفحة 07).

بناءً على هذا فإنّ اللّغة "نظام تعبيريّ صوتيّ استقرّ عليه العُرف والاستعمال في عصر معين وبين جماعة أو طائفة معيّنة يمكن بواسطته التفاهم بين أفراد هذه الجماعة الذين يبلغون مستوى عادياً من الإدراك" (أيوب، 1968، صفحة 23). وتُعرف أيضاً بأنّها مجموعة من الصفات اللّغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، أو قيود صوتيّة تلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معيّنة أخرى" (السيد، 1986، صفحة 69). وما يتعارف اليوم على تسميته (لهجة)، كان العرب في القديم يطلقون عليه كلمة (لغة)، أو كلمة (لحن).

يعتبر علم اللهجات في العصر الحديث فرع من فروع اللسانيات، يهتم بالدراسة العلميّة للهجات في لغة من اللّغات، ويبحث في الاختلافات اللهجيّة وما يرتبط بها من سمات على أساس التوزيع الجغرافي؛ لذلك نجد من اللسانيين- كجورج مونان- من يصنفونه ضمن فرع "اللسانيات الجغرافية" (Geolinguistics)، كما نجد آخرين يعتبرونه هو اللسانيات الجغرافية ذاتها.

- العلاقة بين اللهجة واللّغة:

العلاقة بين اللهجة واللّغة هي علاقة الخاص بالعام فاللّغة تشتمل على عدّة لهجات، ويطلق علماء العربيّة القدامى تسمية اللّغة على اللهجة ويظهر ذلك في قولهم: لغة سعد، ولغة أهل الحجاز، ولغة هذيل، ولغة طيء" (ابن يعيش، 2001، صفحة 42). ولأنّ علاقة اللّغة باللهجة علاقة العام بالخاصّ، التي ذكرها عبده الراجحي قائلاً: "إنّ العلاقة التي بين اللّغة واللهجة هي العلاقة التي بين الخاصّ والعام، فاللهجة مجموعة من الصّفات اللّغويّة التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات لكلّ

منها خصائصها لكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قديدور بينهم من حديث فهمًا يتوقف على قدر الرابطة بين هذه اللهجات" (الراجحي، 2015، صفحة 51).

3.2- تعريف القراءات القرآنية:

كانت القراءات القرآنية مصدرًا من مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة، وأوثق الشواهد على ما كانت عليه طبيعة هذه اللهجات في الصّوت والنحو والصّرف والدلالة، ذلك أنّها تكاد تكون المرآة العاكسة لما كان عليه الواقع اللغوي في الجزيرة العربية قبل الإسلام" (الراجحي، 2015، صفحة 84). القراءات جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر "قرأ". يُقال: قرأ فلان، يقرأ، قراءةً (شعبان، 2004، صفحة 22). وفي اصطلاح علماء القراءات فهي: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزّوًا لناقله" (بسيوني، 2000، صفحة 170). أمّا السيوطي فيرى أنّ القراءات: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور، في الحروف وكيفيتها، من تخفيف وتشديد وغيرها" (السيوطي، 1967، صفحة 80). وعرفها آخرون بأنّها: "علم يُعرف منه إتقان الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، من حيث السّماع" (الدمياطي، 1998، صفحة 05). وذهب آخرون إلى أنّ القراءات "هي تلك الوجوه اللغوية والصوتية، التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسرًا وتخفيفًا على العباد" (اللبدى، 1978، صفحة 66)

- اللهجات العربية قبل الإسلام:

انتشرت القبائل العربية فوق أرض مترامية الأطراف، فتفرقت مساكنهم، واختلفت مشاربهم، وكان من الطبيعي أن تجري على ألسنتهم لغات مختلفة الخصائص، كلغة قريش وهذيل وكنانة والأوس والخزرج وقيس وعيلان وسعد والعشيرة واليمن وكندة وقيم وحمير ومدّين وحضرموت وسدوس والحجاز وغسان وبني حنيفة وتغلب وعامر وبن صعصعة وثقيف وجذام والفرس والنبط والحبشة والسريالية والعبرية والروم والعمالقة...، يستعملها أفراد هذه القبيلة أو تلك ليتواصلوا فيما بينهم. وهذا الاختلاف قد يظهر في مخارج بعض الأصوات وأدائها، أو بنيتها ودلالاتها. وكانت مواسم العرب وأسواقهم مجتمعة لهم، فكان أكبر مواسمهم الحج إلى الكعبة المشرفة حيث تختلط القبائل، وتقوم بينهم المعاملات، فيسمع العربي لغة غيره فمنهم من يخف ويسرع في قبول ما يسمعه، ومنهم من إذا طال تكرار لغة غيره عليه لصقت به ووُجدت في كلامه" (ابن جني، 1952، صفحة 383) وينشأ عن ذلكم تداخل وأخذ وعطاء وترك في اللغة، ومثال ذلك كلمتا قَنَطَ وَيَقْنَطُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الحجر، الآية 56. وقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الشورى، الآية 27 إنّما هما لغتان، فمن العرب من كان يقول: قنط يقنط، ومنهم من كان يقول: قنط يقنط، فتداخلت اللغتان، وتركت لغة الثالثة، فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة (ومن يقنط) بفتح النون، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، وكلّهم قرؤوا (من بعد ما قنطوا) بفتح النون" (ابن مجاهد، 1980، صفحة 367). وكان العرب يلتقون أيضًا في أسواق الشّعر والأدب، كسوق عُكاظ وغيره، حيث تُلقى الأشعار، وتُنثر الخطب، وتُرسل الحُكم، فيتأثر بعضهم بلغة بعض، فتجري على لسانهم ألفاظ منها

عفوًا ودون تكلف. أما الشعراء والبلغاء فكانوا يقصدون تهذيب لغاتهم ويسعون لاختيار اللغة الفصحى لاستعمالها في أشعارهم وكلامهم.

– اللهجات وعلاقتها بالحروف السبعة:

هناك لغات عربية وسبع قراءات قرآنية متواترة لا يطعن بها أحد، أصحابها نافع المدني وابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وعاصم وحمة والكسائي والكوفيون، أو عشر أو أكثر منسوبة إلى أصحابها، اختلفت تبعًا لاختلاف تلك اللغات. ولكن ثمة قراءات شاذة أهملت لزوال الرخصة التي اقتضتها، فطرحت قراءة ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ سورة القارة، الآية 05. وقراءة ﴿وَطَلَحَ مَنُضُودٌ﴾ سورة الواقعة، الآية 29 وقراءة ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ سورة ق، الآية 19. واعتمدت قراءات أخرى مختلفة في الفتح والإمالة والإدغام والإظهار والهمز والتسهيل والتصريف والحركات والإعراب وغير ذلك. من هنا نرى أنَّ القراءات هي غير الأحرف السبعة، فالقراءات مع الأحرف يلزم بقاء الأحرف السبعة وعدم ترك شيء منها، وإباحة القراءة بها حتى اليوم وهذا مخالف لاجتماع الأمة". واختلاف أوجه القراءات يؤول إلى أربعة جوانب، هي: الصوتي، والصرفي، والتحوي، والدلالي.

3. مستويات اللغة العربية .

تتمثل اللهجات القرآنية على المستوى الصوتي، في:

1.3. المستوى الصوتي:

يُعَدُّ البحث الصوتي من المباحث المهمة في تفسير الظواهر اللغوية عند العرب، وهو يهتم بدراسة الأصوات اللغوية؛ من حيث مخارجها وصفاتها، وكيفية النطق بها، فهو مستوى يهتم بالكلمات؛ من حيث البناء الصوتي لها. فاللغة العربية تتنوع أصواتها ويُعتبر مدرج أصوات اللغة العربية من أطول المدارج الصوتية بين اللغات، وحروفها سهلة النطق، عدا بعض الأصوات الحلقية التي قد تصعب على غير ناطقها. إنَّ مظاهر الاختلاف في الأصوات التي ستقتصر دراستنا حولها، هي: الهمز والتسهيل والفتح والإمالة والإدغام والإظهار.

1.1.3. ظاهرة الهمز والتخفيف:

الهمزة نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد كما يقول سيويوه" (سيويوه، 1988، صفحة 458)، فهي من أشقّ الأصوات نطقًا و أعسرها إخراجًا. فمكان إنتاجها فتحة المزمار التي تنطبق ثمّ تنفتح فجأةً مُحدثَةً انفجاراً أثناء إصدارها، الأمر الذي دفع القبائل العربية القديمة وبخاصة الحجازية و من جاورها إلى التخلص منها بتسهيلها أو حذفها أو إبدالها حرف لين . (قطي، 1990، صفحة 08) " وقد وُضعت قواعد حُصرت بها أحوال الهمز في جهات النطق بها، بمراعاة حركتها أو حركة ما قبلها أو ما بعدها،" (عمر، 1985، صفحة 338) مثل: يؤمنون – يؤمنون. أو إبدالها حرفًا، مثل: يؤخذ – يواخذ أو حذفها مثل: مستهزون – مستهزون. أو تسهيلها بين الهمزة وبين الهاء، مثل: رأييتكم – رأييتكم. أو نقل حركتها إلى ساكن قبلها وحذف الهمزة، مثل: والأخرى – والأخرى. والقبائل التي كانت تنطلق

بالهمز هي القبائل وسط الجزيرة وشرقيها مثل تميم وقيس، والقبائل التي لم تنطلق بها هي معظم قبائل الحجاز مثل قريش" (أنيس، 1996، صفحة 66).

أما القراء فنرى أنّ منهم من همز ومنهم من لم يهمز، فنافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمة والكسائي كانوا يهمزون إذا كانت الهمزة ساكنة أو متحركة على السواء مثل يؤمنون - يوحركم وأما أبو عمرو فكان يترك كل همزة ساكنة أو متحركة على السواء مثل يؤمنون - يوحركم" (ابن مجاهد، 1980، صفحة 132). وأما أبو عمر فكان يترك كل همزة ساكنة إلا أنّ يكون سكونها علامة للجزم، إلا أنّه كان يهمز حروفاً من السواكن بأعيانها مثل: الضأن - الذئب - بئر - بئس. من كلّ القرآن وغيرها ممّا ورد ذكره في كتب القراءات". (الأصبهاني، 1980، صفحة 106)

2.1.3. ظاهرة الفتح والإمالة:

الإمالة هي تقريب الصوت من الصوت؛ بأن تقرب الفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء مثل قولنا: سعي - قضى - الضحى. والفتح معناه فتح الفم أثناء نطق الحرف. وربما ذكروا كلمة الكسر محل الإمالة، والتفخيم محل الفتح ولا فرق بينهما. " والفتح والإمالة لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن، والفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس" (الدمياطي، 1998، صفحة 74). أما القراء فأشهر من روي عنهم الإمالة حمزة وكسائي، وأما ابن كثير فقد تبع سنة أهل الحجاز في الفتح، ولكن لا يشترط أن يتبع القارئ لغة قومه؛ فالقراءة أخذت بالسمع والرواية، فأبو عمرو بن العلاء التميمي كان يقرأ ما كان في رؤوس الآي بين الكسر والفتح، مثل آيات سورة الضحى، فإذا لم تكن رأس آية فتح، مثل "قضى" وغير ذلك، ولم يقرأ بالإمالة إلا في مواضع دلّت عليها كتب القراءات" (ابن مجاهد، 1980، صفحة 145).

3.1.3. ظاهرة الإدغام والإظهار:

ثمة معنى آخر لهاتين الكلمتين غير ما نعرفه عندما نذكر أحكام النون الساكنة والتنوين وحروف الإدغام والإظهار. ونقصد بكلمة الإظهار إعطاء الحرف حقه من جهر أو همس أو شدة أو رخاوة أو غير ذلك، وبحصل هذا نتيجة الدقة والتأني في نطق الحروف وعدم الخلط بينها، وإدغام الحروف يأتي من السرعة وعدم إعطاء الحروف وعدم الخلط بينها، وإدغام الحروف يأتي من السرعة وعدم إعطاء الحرف حقه من التحقيق والتجويد، ممّا ينتج عن ذلك تأثير الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور وتتقارب، وشرط التأثير أن تكون متقاربة في المخرج أو الصفة أو متحدة في كليهما. فمثال التقارب في المخرج دون الصفة إدغام التاء في الطاء في قوله تعالى: ﴿هَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾ النساء: الآية 113 وقوله تعالى: ﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾ هود: الآية 42 وهو ما يُسمّى بالإدغام المتجانس. ومثال التقارب في الصفة دون المخرج إدغام التاء في الجيم في قوله تعالى: ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ النساء: الآية 56 وهو ما يُسمّى بالمتقارب، ومثال الاتحاد في المخرج والصفة قوله تعالى: ﴿أَنْ ضَرَبَ بِعَصَاكَ﴾ البقرة: الآية 60 وهو الإدغام المتمثل. والإدغام هو قراءة أبي عمر وابن عامر وحمزة والكسائي" (ابن مجاهد، 1980، صفحة 116) وتبعوا بذلك ما عُرف في قبائل تميم وما جاورها من أحياء

العرب (أنيس، 1965، صفحة 65)، والإظهار هو قراءة نافع وابن كثير وعاصم" (ابن مجاهد، 1980، صفحة 113). وهو ما اشتهر في القبائل الحجازية مثل قريش وثقيف وهذيل وكنانة" (أنيس، 1965، صفحة 65)

2.3. المستوى النحوي والصرفي:

يُعرف علم الصرف بأنه "الكيفية التي تتم بها صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الكلمة التي ليست إعراباً ولا بناءً. ويتوقّف علم الصرف على تبيان تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها، وحركاتها وترتيبها، وما يعترض لذلك من تغيير أو حذف، وما في حروف الكلمة من أصالة وزيادة" (الفاضلي، د. ت، صفحة 07) إنّ من جملة الاختلافات في القراءات ما يرجع إلي تعدّد الوجوه الإعرابية للكلمة الواحدة، وقد حرّض على ذلك طبيعة الرسم الإملائي للقرآن الذي تجرّد عن النقط الذي يوضح إعرابه والشكل الذي يميّز حروفه المعجمية من المهملة ثمّ أنّه كان يقوم في البداية على إملاء خاص به في ذلك العصر وفيها بعده أيضاً، وأنك لتجد في إملائه من أنواع الزيادات والحذف للحروف والمدود وطريقة الرسم ما لم يكن معهوداً حتّى عند كثير من القبائل العربية إذ ذاك. (البوطي، 1975، صفحة 53) .

ولكنّه كان موافقاً في جملته للرسم القرشي، والموافقة تكون تحقيقاً لقراءة قوله جلاً وعلاً ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الفاتحة : الآية 2 بالقصر ويسمونه رسماً اصطلاحياً. وهذا الاختلاف اختلاف تغاير، وهو في حكم الموافق، وليس اختلاف تضاد وتناقض" (الدمياطي، 1998، صفحة 10) ويكون بالزيادة مثل زيادة الألف في كلمة "آمنوا"، وزيادة هاء السكت في كلمة "سلطانيه"، أو بالحذف، مثل حذف الألف في كلمتي "بسم" - "الرحمن"، أو التبديل، مثل: "الصلوة-رحمت" أو الفصل مثل: "حم-عسق"، أو الوصل، مثل: "كهيعص"، للدلالة على ذات الحرف أو أصله. والاختلاف في الرسم أدى إلى تعدّد أوجه القراءات، ولكن هذه الوجوه لم تكن بعيدة عن قيد العلماء، فقد اشترطوا لقبول القراءة أن توافق اللغة العربية بوجه من الوجوه، وأن يحتمله خط المصحف العثماني. وصنّف في هذين الشرطين اختلاف القراءات إلى نوعين:

1. وجوه الإعراب وأمثلة كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ البقرة: أية 37 فقد قرئت برفع آدم ونصب كلمات، وبالعكس.

2. وجه التصريف فقد اختلفوا في تحريك الياء التي تكون اسماً للمتكلّم وعدم تحريكها، مثل قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ البقرة أية 30 وقوله: ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة أية 142. واختلفوا في قوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ سبأ أية 19 فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (بعّد) وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمره والكسائي (باعد). (ابن مجاهد، 1980، صفحة 529)

3.3. المستوى الدلالي:

يُعدّ علم الدلالة طريقاً إلى معرفة أسرار اللغة وطرائقها الخاصّة في تنمية الأشياء وتطور ألفاظها ومعانيها. وبات معروفا أنّ لغات العرب كانت تختلف فيما بينها، ولم يقف هذا الاختلاف عند مخارج الأصوات وحسب، بل انتقل إلى دلالات ألفاظ بأعيانها، فنحن نجد كلمة وقعت على معنيين أحدهما لقبيلة والثاني لأخرى، أو على عدّة دلالات مثل

كلمة "السُدفة" فبنو تميم يذهبون إلى أنها الضوء" (الأنباري، 1987، صفحة 35) وتدلّ أيضاً على القطعة فيقال: مضى سدفه من الليل أي قطعة منه" (الفيروزبادي، 1983، صفحة 37)

وسبب تعدّد الدلالات هو أنّ إحدى القبائل أطلقتها على معنى بعينه بسياق محدّد، ولما انتقل إلى قبيلة أخرى بالسّماع أخذ معنى غيره في سياق جديد، وربما كان على نقيض الأول. وفي القرآن ألفاظ كثيرة وقعت على أكثر من معنى، مثل كلمة، "الرجاء"، فقد جاءت بمعنى الناحية والجانب في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ الحاقة : الآية 17 وبمعنى الخوف في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ سورة نوح : الآية 13، وبمعنى التأخير والمهل في قوله: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة البقرة: 218.

وكما توجد كلمات مشتركة بين القبائل تدلّ على معاني مختلفة، فإنّه يوجد أيضاً كلمات كثيرة استخدمها العرب اختلفت ألفاظها واتفقت معانيها، ومن أمثلة ذلك قول العرب للوعاء إذا فرغ فلم يبق فيه شيء: "قد خلا، وقد صفر" (الأصمعي، 1986، صفحة 45) ويُقال للجارية الحسنة الخلق : جارية حسنة العصب، وحسنة الجدل، وحسنة المسند، وحسنة الأرم " (الأصمعي، 1986، صفحة 46) ويُقال السُدفة والشُدفة ويريدون القطعة" (الفيروزبادي، 1983، صفحة 37) ثمّ إنّنا نجد ألفاظا كانت معروفة لدى حي من العرب، لا تُعرف دلالتها سواهم من الناس حتّى أصحاب رسول الله صلى الله عليه والسلم . فهذا ابن عباس ترجمان القرآن يسأل عن الآية ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ سورة مريم: الآية 13 فيقول : والله مأدري ما حنانا . وعن أنس أنّ عمر بن الخطاب قرأ على منبر : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ عبس: الآية 31 فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟" (السيوطي، 1973، صفحة 113)

انفردت معظم القبائل بنصيب من الألفاظ ذات دلالة خاصة لديها، لم تنتقل إلى غيرها من القبائل، فلما نزل القرآن الكريم اصطفاها ونشرها بين العرب جميعاً، ولكن ضلّت معانيها مجهولة غير معروفة، فلذلك حضّ رسول الله عليه الصلاة والسلام على التماس غريب القرآن وإعرابه.

4. الخاتمة:

فبعد هذا البيان لطبيعة كلّ من اللهجات والقراءات القرآنية، وحدود العلاقة بينهما يجمل أن نسجل أهمّ نتائج الدراسة:

- كانت دراسة لغات العرب هي القراءات القرآنية لأنها المصادر اللغوية لدراسة اللغات.
- قدّمت القراءات القرآنية حال لغات العرب قبل الإسلام ، ولم نجد في تلك القراءات لغات مقصورة عن البيان والفصاحة.
- لغة تميم وطى وبكر وعبد القيس تغلب كان فيها الإمالة والإدغام والهمز. أمّا لغة قبائل الحجاز قريش والأنصار وتثقيف وهوزان وكنانة وهذيل كان فيها الفتح والإظهار وترك الهمز.

- في الجانب الصوتي، التزام القارئ لغة قومه لم يكن شرطاً لأنّ القراءات أخذت بالسماع والرواية.

- أثّرت القراءات تأثيراً كبيراً في تطوّر الدرس النحوي والصرفي.

- قد راعت القراءات القرآنية الفوارق اللغوية للقبائل.

- في الشقّ الدلاليّ اتّسع كلام العرب بالسياقات المختلفة عندما يقع لفظ على معنيين أو أكثر مع وجود معني أصلي أطلق أوّل وهلة عليه ثمّ شاع ذلك وانتشر، فالمترادف مرجعها إلى لغات العرب المختلفة.

5. قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس. (1965). في اللهجات العربية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- إبراهيم بسيوني. (2000). لطائف الإشارات. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن فارس. (1949). مقاييس اللغة. مصر: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن مجاهد. (1980). السبعة في القراءات السبعة. مصر: دار المعارف.
- ابن يعيش. (2001). الشرح المفصل. لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو بكر الأصبهاني. (1980). المبسوط في القراءات العشر. سوريا: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- أحمد مختار عمر. (1985). دراسة الصوت اللغوي. مصر: عالم الكتب.
- الراجحي ع. (2015). اللهجات العربية في القراءات القرآنية. الأردن: دار الميسر.
- السيد ح. (1986). الراموز على الصحاح. سوريا: دار أسامة.
- السيوطي. (1973). الإتقان في علوم القرآن. لبنان: المكتبة الثقافية.
- الطاهر قطي. (1990). بحوث في اللغة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية. (2015). الأردن: دار الميسر.
- أنيس، إبراهيم. (1996). في اللهجات العربية. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- أنيس و آخرون. (2004). معجم الوسيط. مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- جلال الدين، السيوطي. (1967). الاتقان في علوم القرآن. مصر: مطبعة المشهد الحسيني.
- جمال الدين، ابن منظور. (1990). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- حسن، عون. (1952). دراسات في اللغة والنحو العربي. مصر: مطبعة رويال.
- رمضان، البوطي. (1975). من روائع القرآن. سوريا: مكتبة الفارابي.
- سيبويه. (1988). الكتاب. مصر: مكتبة الخانجي.
- شهاب الدين، الدمياطي. (1998). إتحاف فضلاء البشر، في قراءات القراء الأربعة عشر. لبنان: دار الكتب العلمي.
- عبد الرحمن أيوب. (1968). العربية ولهجاتها، معهد البحوث والدراسات العربية. مصر: معهد البحوث والدراسات العربية.
- عبد الرحمن، ابن خلدون. (1985). المقدمة. مصر: دار المعارف.
- عبد الملك، الأصمعي. (1986). ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه. سوريا: دار الفكر.

- عبد الهادي الفاضلي. (د. ت). مختصر الصرف . لبنان: دار القلم.
- عثمان، ابن جني. (1952). الخصائص. مصر: دار الكتب المصرية.
- فاضل المطلي. (1978). لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة. العراق: منشورات وزارة الثقافة والفنون.
- مجد الدين، الفيروزبادي. (1983). تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين. سوريا: دا قتيبة.
- محمد، الأنباري. (1987). الأضداد. لبنان: المكتبة العصرية.
- محمد، اللبدي. (1978). أثر القرآن والقراءات في النحو العربي. الكويت: دار الكتب الثقافية.
- محمد، شعبان. (2004). القراءات القرآنية أحكامها ومصدرها. مصر: دار السلام للطباعة والنشر .
- محمد، مرتضى الزبيدي. (2007). تاج العروس . لبنان: دار الكتب العلمية.
- محمود الحسون، و جعفر الخليفة. (1996). طرق تعليم اللغة العربية. ليبيا: منشورات جامعة عمر المختار.
- هدى الشمري، وآخرون. (2005). مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها. الأردن: دار وائل للنشر.